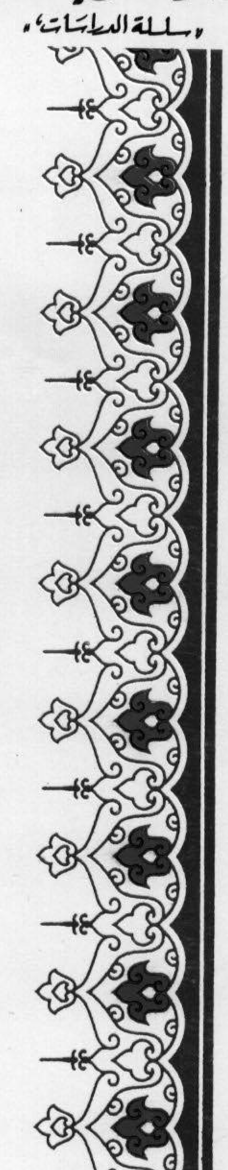


سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة
«سلسلة الدراسات»





من أعلام عمان

صور مشرقة من حياة الرعيل الأول

تأليف
الشيخ الدكتور
صالح بن أحمد الصوافي

العدد الثالث
الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة
«سلسلة الدراسات»



من أعلام عمان

صور مشرقة من حياة الرعيل الأول

تأليف
الشيخ الدكتور
صالح بن أحمد الصوافي

العـــدد الثالث
الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م

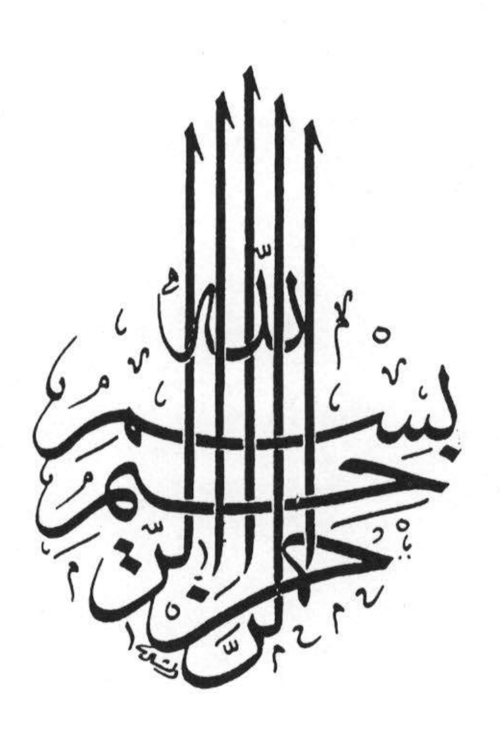
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]


بسم الله الرحمن الرحيم



قَالَ اللّٰه تعَالىٰ :

« مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ».

صَدق الله العظيم
سورة الأحزاب
آيه - ٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تَقْرِيظٌ

لفضيلة الشيخ عبدالله بن راشد السيابي
القاضي بمحكمة الإستئناف الشرعية

كِتَابٌ قَدْ حَوَى تَارِيخَ عَهْدَ   إِمَامَيْ أُمَّةٍ ظَهَرَا بِسَعْدِ
فَأَشْرَقَ فِي سَمَا التَّارِيخِ بَدْرًا   يُضِيءُ لَنَا الطَّرِيقَ بِنُورِ مَجْدِ
يَقُصُّ لَنَا عَنِ الْمَاضِينَ سَطْرًا   يُعَطِّرُ سَمْعَنَا بِهُدًى وَرُشْدِ
تَبَدَّى فِيهِ « وَرَاثُنَا » جَلِيًّا   إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ حَلِيفُ زُهْدِ
خَرُوصِيٌّ وَكَمْ لِبَنِي خَرُوصٍ   مَحَامِدُ قَدْ تَجَلَّتْ دُونَ عَدٍّ
أَقَامَ الْعَدْلَ إِذْ وَهَنَتْ قُوَاهُ   فَأَصْبَحَ ظَاهِرًا لِلْجَوْرِ يُرْدِي
دَعَائِمُ مُلْكِهِ بُنِيَتْ بِهَدْيٍ   مِنَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ بِلَا تَعَدٍّ
وَسُنَّةِ خَيْرِ رُسْلِ اللهِ طُرًّا   هُمَا النِّبْرَاسُ قَدْ جُمِعَا لِحَمْدِ
وَمَنْ لِي مِثْلُ مُوسَى حِينَ يُرْسِي   قَوَاعِدَ لِلْعُلَا أَضْحَتْ كَطَوْدِ
هُوَ الْعَلَمُ الْمُحَقِّقُ مَنْ تَنَاهَى   إِلَيْهِ الْأَمْرُ فِي حَلٍّ وَعَقْدِ
أَمُوسَى ادْرِكْ فَطُوفَانُ الرَّزَايَا   غَدَا يَجْتَاحُ كُلَّ مَنَارِ رُشْدِ
وَقَوِّمْ كُلَّ مُعْوَجٍّ تَمَادَى   بِسَيْفِ الْحَقِّ يَقْصِمُ كُلَّ وَغْدِ

أَبَا الْمُخْتَارِ قَدْ وُفِّقْتَ فِيمَا .. بَذَلْت بِذَي الْمباحِثِ خَيْرَ جَهْدِ
وَفَتَّشْتَ المَخَابِئَ عَنْ تُرَاثٍ بِهِ الْمَكْنُونُ أَصْبَحَ بَيْنَ أَيْدِ
فَسِرْ بِالْيُمْنِ تَجْمَعُ مَا تُلاَقِي مِنَ التَّارِيخ بَيْنَ رُبُوعِ مَجْدِ
لِتَخْدِمَ أُمَّةً سَمَقَتْ بِعِزٍ وَنَالَتْ فِي الْمَعَالِي كُلَّ حَمْدِ
عُمَانُ سَعِدْتِ فِي مَجْدٍ تَلِيدٍ وَطَارِفُكِ الْعَتِيدُ كَرِيمُ عَهْدِ

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نوّر قلوب العارفين بالعلم ، وجعل العلماء ورثة الأنبياء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الرسل وصفوة الأولياء ، وعلى آله الأتقياء ، وصحبه الأصفياء ومن سار على هديهم واقتفى آثارهم ...

أما بعد ...

فهذا هو العدد الثالث من كتابنا (**من أعلام عُمان صور مشرقة من حياة الرعيل الأول**) يرسم للقارىء الكريم صوراً لحياة علمين جليلين هما :

- الإمام الوارث بن كعب الخروصي .
- شيخ الإسلام موسى بن أبي جابر الأزكوي .

فلهذين العلمين مكانتهما التاريخية والعلمية ، فلقد كان لهما دور كبير في حياة الأُمة علماً وتعليماً وتوجيهاً وقيادة.

عاشا رحمهما الله عيشة الكفاح والنضال من أجل نصرة دين الإسلام ، وتطبيق أحكامه والسير على منهاج سنة رسول الله ﷺ ، فدانت لهما الدنيا ، واستجاب لهما

الناس ، فهم أشبه بالشمس الشارقة في سماء العلم .

لقد حررت هذا العدد لينير الطريق للسالكين ، ويوضح للقارئ جانبا من سيرة سلفنا الصالحين ، وليس من الإدعاء أو التبجح إذا قلت أن أئمة (الإباضية) من الذين يحرصون كل الحرص على أن لا يتعدوا ولا أتباعهم الحدود التي رسمها لهم الإسلام ، بل إن سيرتهم وهديهم يرسمان للقاريء الكريم صورة صحيحة مشرقة لما جاء به الإسلام الحنيف وأوضحته السيرة النبوية الغرآء على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السّلام .. هذه الصورة ستتضح لك أخي القارئ عندما تقرأ جوانب من سيرة هذين الإمامين الجليلين ...

هذا ، والله يقول الحق ويهدي إلى سواء السبيل .



الإمام الوارث بن كعب الخروصي في سطور

من المعلوم أن نظام الحكم في (عُمان) نظام إسلامي سار على منهاجه أئمة عُمان وقادتهم منذ القرون الأُولى ، على هدي من كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وعلى هدي من نبي الله الكريم محمد بن عبد الله ﷺ .

ذلك لأن النظام الإسلامي نظام محكم فهو تشريع إلهي من رب عالم بما يصلح عباده ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾[1] ولقد أسهم العُمانيون إسهامًا كبيرًا في نشر الإسلام والدعوة إليه ، والحكم بشرعه ، أسهم بذلك أساطين علم ورواد ثقافة وجهابذة معرفة علماء مرضيون وأئمة مجتهدون .

ومن أولئك الأساطين الإمام الوارث بن كعب اليحمدي الخروصي – رحمه الله – فهو من أعلام عُمان المشاهير ، وأئمتها الأساطين ، الذين كان لهم دور في حياة الأمة

(١) سورة الملك آية ١٤ .

الإسلامية ، ولد في قرية (هجار) من وادي بني خروص بعُمان .

لقد تمت بيعته إمامًا لعُمان في شهر ذي القعدة سنة تسع وسبعين ومائة[1] ، فقام الإمام الوارث بالحق خير قيام والمسلمون له مآزرون ، ولحكمه مناصرون .

يذكر صاحب « كتاب بيان الشرع » أنه لما أراد المسلمون أن يعزلوا محمد بن أبي عفان حضر الإمام موسى ابن أبي جابر الجيش ، وقد خرج وارث يريد المعسكر ، محتجًا لابن أبي عفان ، ومدافعًا عنه ، عندما سمعوا أنهم يريدون عزله، فقال : لموسى : من إمامنا ؟ فرد عليه : أنا إمامكم ، فما أن وصل إلى (نزوى) أخذ موسى بيد الوارث ، فبايعه إمامًا ، قال صاحب البيان : فما علمنا أن أحدًا من الناس عاب ذلك على وارث[2] .

ويوجد في بعض السير العُمانية ، أن المسلمين أخرجوا

---

(١) تحفة الأعيان الجزء الأول ص١١٤ ، ويرى صاحب كشف الغمة أن بيعته تمت عام ١٧٧ هجرية (كشف الغمة ص٤٢) .

(٢) راجع تحفة الأعيان للإمام السالمي (الجزء الأول) ، بيان الشرع الجزء الذي فيه ذكر الأئمة .

ابن أبي عفان من (نزوى) عندما بدرت منه أحداث ، خالف فيها سيرة السلف الصالح ، فانتقد المسلمون منهجه في الحكم . وتعسفه وغلظته ، وقد أدى الحال إلى إقصائه من مقر الإمامة نزوى ، فاجتمع المسلمون بعد ذلك ، وبايعوا وارث بن كعب ووارث هذا ، سار في المسلمين على هـدي السلف ، من الرعـيل الأول ، بالحق والعدل فيهم ، فعزت به دولة المسلمين ، وقامت به دعوتهم .

لقد كان الإمام الوارث مثالاً في الذكاء ، حيث يراه الناظر من عينيه وترتسم النجابة على مخائله ، وهبه الله أدبًا في القول ، وخفة في الروح وزهداً في العمل، وورعًا في المأكل والمشرب ، إزدانت بإمامته حلق العلم ، وضربت إليها أكباد الإبل آنذاك ، كانت إرادته قوية لنشر العلم ، ورغبته عظيمة في نشر الفقه ، سمعته العلمية جذبت إليه طلاب العلم من مسافات بعيدة ، ووفد العلماء إليه حيث ناقشهم وناقشوه ، وفاضلوا بين مجالس العلم وبين الفقهاء النبغاء ، حسب مداركهم المتفاوتة ، ومنازعهم المتباينة ، فإلى جانب قيامه بالحكم بين الناس، وتسييره أمور الدولة ، نجده يهتم بالمساجد ودور العلم فيها ، حيث نصّبَ الأساتذة

على رأس حلق العلم يشرحون كتاب الله عز وجل ، عن طريق الرواية والدراية ، ويوضحون صحيح السنة ، عن رسول الله محمد ﷺ ، فوجد طالب العلم ضالته في تلك الحلق العلمية ، فانتقل بينها ، واغترف من معين علمائها ، وارتشف من بحور فقهائها .

قال العلامة أبو الحسن البسياني في سيرة الإمام الوارث : (بايع المسلمون الإمام الوارث بن كعب ، على ما بويع عليه أئمة العدل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشرآء في سبيل إظهار الحق ، وإخماد الباطل ، والجهاد في سبيل الله ، وقتال الفئة الباغية ، وكل فرقة إمتنعت من الحق ، حتى تفئ إلى أمر الله لا يستحلون منهم غنيمة مال ، ولا سبي عيال ، وإنتحال هجرة بعد النبي ﷺ ، ولا يسمو بالشرك أهل القبلة ، ما بينو الشهادتين ، فقام وارث بالحق ما شاء الله ، والمسلمون عنه راضون)[1] .

ونجد في هذا الوصف الدقيق لهذا الرعيل من سلف أصحابنا ما يوضح لكل أخ مسلم ، أننا لم نكفر أحداً من المسلمين ، ما دام يعلن الشهادتين ، ويظهر ذلك جلياً في

(١) راجع سيرة أبي الحسن البسياني وأيضاً تحفة الأعيان الجزء الأول .

قوله : (ولم يسموا بالشرك أهل القبلة ما بينوا الشهادتين) وهذا رد لعقيدة الخوارج ، ورد لما يدعيه غيرنا زوراً على أصحابنا وبهتاناً منهم من أنهم يكفرون سواهم ، ويريدون بالتكفير الحكم بالشرك ، وهذه فرية تهدمها هذه الحقيقة الناصعة البرهان ، الثابتة الحجة .

ويعد الوارث ثالث إمام تمت بيعته في عُمان في القرن الثاني الهجري .

قال العلامة الشيخ خلفان بن جميل السيابي – رحمه الله – في كتابه القيم (سلك الدرر الحاوي غرر الأثر) ما نصه :

فبايعوه حينما قد خلعوا ... ابن أبي عفان إذ تجمعوا
سنة سبعين وتسع ومائة ... فكان للإسلام من خير فئة
وقام بالحق وولى وعزل ... وأظهر الدين وساوى وعدل
والمسلمون كلهم بسيرته ... راضون سامعون عند دعوته
وهو إمام ثالث قد كانا ... ممن أنار عدله عُمانا
وفضله في الدين أمر شاهر ... صح لنا بنقله التواتر
له كرامات كفلق الفجر ... أو غرة على جبين الدهر
قد خلدت تاريخها الدفاتر ... ونوهت بذكرها المحابر

لو كان سلكي واسعًا مناقبه نظمت درّها وكنت ثاقبه[1]

لقد قَدِمَ الإمام الوارث نزوى عاصمة عُمان آن ذلك ووجد أمرها في أيدي الجبابرة الظالمين وقد ملئوها جوراً ، وعاثوا في أهلها فساداً ، فما أن وصل هنالك إلاَّ وقام بالحق ، وصدع بالصدق . وكانت له مواقف بطولية خالدة ، ضد أهل الطغيان والفساد .

فمن مواقفه : أنه عندما وصل إلى نزوى وجد خبازاً ، يصنع خبزاً وواحداً من جنود الحاكم الظالم واقف على رأس الخباز يأكل خبزه ، والخباز يستغيث بالله ، ويستجير بالمسلمين من ذلك الجندي المعاند ، فلما رآه الإمام الوارث زجره ثلاثًا على صنيعه ، فلم ينته ، ولم يرعو ، فقتله ، ثم مضى الإمام مسرعًا إلى مسجد قريب من شاطئ الوادي المعروف بمسجد (النصر) فهرعت إليه الجنود لتقتله فما أن اقتربوا منه إلاَّ رأوا ذلك المسجد قد امتلأ بأُناس كثيرين فتخوَّف الجنود ، فعادوا أدراجهم ، قيل فلهذه المكانة إختاره المسلمون عليهم إمامًا[2] .

(١) سلك الدرر الجزء الثاني ص٥٦٧ .
(٢) تحفة الأعيان الجزء الأول ص١١٦ بتصرف .

ومن كرامات هذا الإمام العظيم ، أنه لما خرج الوارث من بلده لإظهار الحق والعدل ، تخلف عنه أخوه محمد بن كعب ، فقال بعض الناس : خزر محمد عن أخيه فسموه خزيراً ، ثم لُقِبَ بنوه ، بنو خزير .

وفي مسيره - رحمه الله - مر على بئر لبني صُبح . يقال له (زكت بني صبح، وكان عليه رجل من بني صبح ، ومعه أربعون رجلاً ، فخرجوا عند الوارث ، فأوصى الإمام الوارث بإيقاف مالٍ ينفق من غلته على من حضر وقت الإنفاق ، وذلك في مكان مخصوص من بلدة (هجار) ، إلا لمانع كمطر أو غيره ، فما زاد على ذلك القدر فإنه ينفق على أهل القريتين (هجار - وستال) بصفة خاصة ، وإلى جانب ذلك أوصى لأهل (زكت) من ذلك المال بأربعين سهماً ، ينفق فيهم وفي ذراريهم ، ولو بقي منهم نفر واحد ، ومنع أن ينفق منه على بني أخيه وذلك لخزره عنه ، ومخالفته لأمره ، وهذا الوقف يقسم إلى وقت قريب .

ويذكر العلامة السالمي - رحمه الله - في تحفته أنه لا يستطيع أحد من بني خزير أن يأخذ منه ، وإلا عجلت عليه العقوبة .

ومن كراماته – رحمه الله – أيضًا : أنه إذا أنفق ما ذكرناه فيما أوصى به ، رأوا فيه زيادة على القدر الذي عهدوه وإن أنفقوه في غير ذلك الموضع لعذر من الأعذار ، وجدوه كما عهدوه من كيل أو وزن .

ومن كراماته أيضًا ، أنه إذا أكل من ذلك الوقف غير مستحقه عُوجل بالعقوبة ، حتى ولو أكلت منه دابة مع علم صاحبها بذلك أصيبت بمرض ، وإن كان صاحبها على غير علم لم تُصب بشيء ، والله أعلم[1] .

أما مواقفه ضد من سولت له نفسه أن يفكك أمر الدولة أو أن يعيث في عُمان فساداً فحدّث عن ذلك ولا حرج .

ويكفي في هذه الدراسة المختصرة أن نذكر موقفًا له في وجه عيسى بن جعفر ابن عم هارون الرشيد ، الذي ابتعثه إلى عُمان ليكون عاملاً عليها على حد زعمه، ومعه ستة آلاف مقاتل فيهم ألف فارس وخمسة آلاف رجل .

فما أن وصل عيسى إلى عُمان سرعان ما بادر داود بن يزيد المهلبي ، بالكتابة إلى (والي صحار) وكان واليها

(١) بإمكانك أن تراجع في ذلك تحفة الأعيان الجزء الأول ص١١٦ ، ١١٧ .

آنذاك مقارش بن محمد اليحمدي[1]، يخبره خبر عيسى وما جاء من أجله وشاء الحق سبحانه أن يختار الإمام مقارشاً هذا، قائداً لجيش قوامه ثلاثة آلاف، والتقوا (بحتى)[2] وعندما التقى الفريقان منى عيسى بن جعفر بالهزيمة، فعاد إلى مراكبه بالبحر، فتبعه أبو حميد بن فلج الحداني السلوتي، ومعه عمرو بن عمر، وذلك في ثلاثة مراكب، فما أن اقتربوا من المركب الذي يمتطيه عيسى سرعان ما هب أبو حميد على عيسى فأسره وانطلق به إلى (صحار) فحُبِسَ بها.

وفي ذلك الوقت قد تحرك الإمام الوارث ومن معه من نزوى لمقاومة عيسى، وصده عن تحقيق هدفه، فلما وصل (سيفم) بلغه خبر هزيمة عيسى، فعاد أدراجه إلى نزوى، فقام خطيباً في الناس قائلاً : يا أيها الناس إني قاتل عيسى بن جعفر، فمن كان معه قول فليتكلم، فقام الشيخ علي بن عزره، وهو من الفقهاء المشاهير فقال : أيها الإمام إن قتلته

---

(١) وقيل اسمه فارس وبه قال صاحب الشعاع :

فسر يا فارس وشكا إليهم ... فإن الرَّوع من حوباك غابا

(٢) « حتى » مكان معروف .

فواسع لك ، وإن تركته فواسع لك ، فأخذ الإمام برأيه ، حيث عدل عن قتله وتركه في السجن .

وتذكر بعض السير : أن قومًا من المسلمين فيهم رجل يسمى الشيخ (يحيى بن عبد العزيز – رحمه الله –) عُرِفَ بعلمه وفقهه ، انطلقوا من حيث لا يعلم الإمام أي خفية ، حتى أتوا إلى صحار فتسوروا على عيسى بن جعفر ، فقتلوه من حيث لا يعلم الإمام ولا والي صحار ، وعادوا من ليلتهم .

ولقد أيد هذا الصنيع العلامة البشير بن المنذر – رحمه الله – بقوله : (قاتل عيسى بن جعفر لم يشم النار)[1]– أي بسبب قتله وذلك بسبب بغيه وظلمه ، وهذا منه – رحمه الله – حكم بالظاهر وإلاَّ فالغيب لا يعلمه إلا الله .

وإثر قتل عيسى باع المسلمون شيئًا من الخيل التي كانت تبعًا له ومن معه ، وتصدق البائعون بثمنها على الفقراء[2] .

ولقد همَّ هارون على إرسال جيش لجب على عُمان ليثأر

---

(١) كتاب كشف الغمة للمؤرخ سرحان الأزكوي ص٤٣ .

(٢) ذكر ذلك صاحب كتاب المصنف الشيخ / أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي – رحمه الله – .

لعيسى فتخوف الناس من ذلك ، ولكن شاء الحق سبحانه أنه قد مات قبل إنفاذ أمره ، فإرتاح الناس من شره .

هذه أيها القارئ الكريم مقتطفات من حياة هذا الإمام الجليل المناضل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

لقد عاش – رحمه الله – عيشة الكفاح من أجل إقامة دين الله ومقاومة أولئك الذين يحاولون النيل من الخلافة الإسلامية ومقدساتها التي باركها الله ويتمناها الناس .

لقد عاش – رحمه الله – رحلة حياته من أجل مثل أعلى وغاية مثلى ، وليس له أن يقيم إقامة الماكثين ، إنه أدرك أن الواجب يحتم عليه أن يكون مستعداً في كل حين ، لتحمل أعباء الرسالة الإلهية في كل مكان وفي أي حال ، وإلا فإن إيمانه بالعلي الأعلى ، ومثابرته للحق ، وتحمله للمتاعب لا يكون ذا جدوى .

إنها حياة كريمة عاشها هذا الإمام وشاركه في ذلك أساطين علم ورجال فكر وعقل في مقدمتهم شيخ الإسلام الإمام موسى بن أبي جابر - رحمه الله – جمع الجميع

أواصر صدق وأصالة محبة وخالص تفاهم .

لقد اشترك الجميع في تحديد الإتجاه والتفكير والعمل وبحثوا منهاجِ حياتهم وكفاحهم لدولة إسلامية عظمى طلباً للحق وإعلاءاً لكلمة الله ، فتعاهدوا وتآزروا وصبروا وصابروا ، وعاشوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، مجسدين قول النبي الكريم ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

هذا هو الإمام الوارث ، وهذه إضاءات من سيرته ومن معه حتى لقي ربه ، حيث قدَم روحه فداءاً لأُناس حُكِمَ عليهم بالسجن ، تحت شجرة (سوقم) مائلة على حافة وادي نزوى بالجهة الشرقية الجنوبية .

وكان سبب وفاته أن أمطاراً غزيرة هطلت ، فسال وادي نزوى ، سيلاناً عارماً، فأُخبر الإمام عن الوادي أنه لربما يلحق المحبوسين ، فأمر الجند بإطلاقهم ، ولكن الجند تخوفوا أن يذهبوا إليهم فيدركهم الوادي ، فقال الإمام : أنا أذهب إليهم ، فهم أمانتي وأنا المسئول عنهم أمام الله – عز وجل – ، ظناً منه – رحمه الله – أنه سيتمكن ومن تبعه من

الجنود من إطلاقهم قبل وصول الوادي ؛ ولكن الأجل المحتوم أدركهم بوصول الوادي ، عندما غمرتهم المياه ، فاجتاحتهم ، فتوفاه الله ومن معه ، بسبب هذا الحدث .

إن هذه الحادثة تبين مروءة هذا الإمام العظيم ، وحرصه على أداء أمانته ووفائه لواجبه ، حيث دفعه الواجب إلى إنقاذ المساجين بنفسه ، وكان ذلك ليلاً .

قال المؤرخ حميد بن حمد بن رزيق :

قضـى ليـلاً بسيـل عمٌ نـزوى فما أبقى الي سيل عبابـا[1]

قال العلامة أبو إسحاق – رحمه الله – معلقًا على هذا الموقف من الإمام بقوله: (فأين هذه الكمالات الإنسانية ، وأين هذه المهمة . فلله در تلك النفوس العظيمة الشريفة – رضي الله عنها –)[2] .

وكانت وفاته في اليوم الثالث أو الرابع من جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين بعد المائة ، وعلى هذا فإن مدة إمامته اثنتا عشرة سنة وستة أشهر إلا أيامًا[3] .

(١) الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان ص٣٠ .

(٢) تحفة الأعيان الجزء الأول هامش ص١٢٠ .

(٣) المرجع السابق ص١٢١ .

ولقد كان الإمام الوارث - رحمه الله - قبل البيعة له بالإمامة يلازم الخلوات في الشعاب والفلوات ، حيث يكثر من الصلاة وذكر الله .

وقبر الإمام مشهور في نزوى ، كائنا بين العقر وسعال المكانين المعروفين .

هذا هو الإمام الوارث بن كعب الذي كانت إمامته عدلاً واستقراراً عاش المسلمون قبلها أيام شدة وقسوة من محمد بن عبد الله بن أبي عفان الذي نزعت منه الثقة نظراً لمخالفته نهج أهل الحق والإستقامة ، حيث ظهرت منه أحداث لم ترض المسلمين بصفة عامة بل إعتبره البعض ليس إماماً بل هو جبّار ، ومنهم من اعتبره أمير جيش فأساء السيرة وبدّل وغيّر ، ومنهم من اعتبره إمام دفاع حتى تضع الحرب أوزارها ، قال محمد بن محبوب - رحمه لله - : (ابن أبي عفان عندنا خليع)[1] فتمت البيعة كما بينا للإمام الوارث فارتاح الناس من قسوة ابن أبي عفان وشدته وغلظته ، فعم الخير أرجاء عُمان ، والحمد لله على نعمة العدل .

(١) المرجع السابق ص١١١ .

شيخ الإسلام موسى بن أبي جابر الأزكوي في سطور

بما أن الإمام موسى بن أبي جابر الإزكوي ، هو الذي كان في مقدمة المبايعين للإمام الوارث ، إرتأينا أن يحتوي هذا العدد من كتابنا هذه الشخصية العلمية المشرقة ، فهو الشيخ العلامة موسى بن أبي جابر الإزكوي من بني ضبه ، وقيل من بني سامة بن لؤي بن غالب ، من بلد إزكي ، إحدى مدن عُمان المشهورة[1] ، وهو جد الشيخ موسى بن علي لأمه .

إن الإمام موسى بن أبي جابر ، عُرف بشيخ الإسلام في كتب الفقه العُمانية وذلك لما يتمتع به هذا الإمام من علم غزير وبُعد نظر حيث كان ـ رحمه الله ـ مرجعا للفتيا .

ولقد كان هذا الإمام مثالاً في الإستقامة والخلق الكريم ، والثبات على المبدأ ، والعلم الواسع ، والإستمساك بالحق ، والقمع للظالمين ، والجفوة للعاصين ، والصمود أمام النوازل.

(١) تبعد عن مسقط العاصمة ١١٠ كيلو متر على وجه التقريب .

كان جم التواضع سهل الخلق ، لين الجانب ، داعية من دعاة الإسلام حاملاً لواءه ، يعد من حملة العلم الخمسة المشهورين ، من البصرة إلى عُمان .

يذكر العلامة أبو قحطان خالد بن قحطان الخروصي الهجاري في سيرته التاريخية : (لما قتل الجلندى وأصحابه – رحمهم الله – استولت الجبابرة على عُمان ، فأفسدوا فيها ، وكان ولاتها أهل جور ، حتى كان آخر من كان فيها من أهل الجور بني الجلندى ، وقد عرفت سيرتهم في أهل عُمان، ثم أنقذ الله أهل عُمان بألفة أهل الحق ، فخرجت عصابة من المسلمين ، فأزالت ملكهم ، وملك المسلمون عُمان ، فأظهر الله دعوتهم فيها ، وجعل يدهم العلياء فلما اجتمع الناس في العسكر في (نزوى) وقيل في (منح) اختلط ، الناس وحضر العسكر من أهل عُمان رجال لهم أحدثة لا يؤمنون على الدولة فخاف موسى بن أبي جابر على الدولة رؤساء من أهل عُمان كانوا قد حضروا أن يغلبوا على الدولة ولا يكون للمسلمين قول وتقع الفتنة فقال : قد ولينا فلانًا قرية كذا وكذا ، وولينا فلانًا قرية كذا وكذا ، حتى عدد الذين كان يخافهم ، وولينا ابن أبي عفان

(نزوى) وقريات الجوف ، وأحسب أنه قال حتى تضع الحرب أوزارها ، فقال بشير : قد كنا نرجو أن نرى ما نحب ، فقد رأينا ما نكره والحمد لله ، فقال له موسى : ما فعلنا إلاَّ ما تحب ثم أعلمه ، إنما أراد أن يخرجهم من العسكر ، ويفرق بعضهم من بعض ، فلما خرجوا من نزوى ، كتب موسى بن أبي جابر في آثارهم ، فعزلوا قبل أن يصلوا القرى التي كان ولاهم عليها ، وإنما كانت هذه حيلة منه – رحمه الله – إحتالها للمسلمين)[1].

ولقد بينا في حديثنا السابق عن الإمام الوارث بن كعب الخروصي أن – شيخ الإسلام – موسى بن أبي جابر هو الذي تولى أمر بيعته في المسلمين إمامًا فيهم ، بعدما أخرج ابن أبي عفان من نزوى .

ومن هنا يتبين للقارئ الكريم ، مكانة شيخ الإسلام – العلمية والدينية والتاريخية والسياسية .

لقد كان مرجعًا للفتيا لعامة الناس بصفة عامة ، وللعلماء بصفة خاصة ، منحه الله قوة في الجسم وغزارة في العلم ،

(١) إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان للشيخ سيف بن حمود البطاشي جـ١ ص١٦٨ .

فكان نهراً متدفقًا لا ينضب معينه ، ومحجة بيضاء لا يشوبها كدر ، فهو من علماء القرن الثاني الهجري ، تلقى العلم على الإمام الربيع بن حبيب العُماني البصري – رحمه الله – وأخذ الكثير أيضًا من العلوم عن الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، أي إنه تلقى العلم على هذين العالمين ، عندما هاجر إلى البصرة طلبًا للمزيد من العلوم ، إذ كانت في ذلك الوقت مركزاً للثقافة ، ومحطًا للعلماء ، ومهيعًا لطلبة العلم .

فهو – رحمه الله – من بين من ابتعثهم الإمام أبو عبيدة إلى عُمان ، ليعودوا إليها رافعين لواء العلم وعندما عاد أنشأ المراكز العلمية ، التي إلتحق بها الكثير من طلبة العلم والمعرفة .

لقد كان مرجع الأمة آنذلك الوقت ومن يعوّل عليه في القضايا الجسام الفقهية، فهو كما وصفه العلامة المؤرخ الشيخ سالم بن حمود السيابي بقوله : (وكان هذا الشيخ من أقوى دعائم الحق في عُمان ، ومن الذين لهم في الدين العلم المرفوع ، وعند إختلاف الظروف تتجلى حقائق الرجال فإن الدهر محك لهم ، تظهر به جواهرهم وموسى

ابن أبي جابر ، لا يزال له في الأثر العُماني الصوت العالي ، مقدمًا على أبناء جنسه ، علاّميته موقرة ، وآراؤه مقدمة ومعتبرة ، لاقى من نصب أهل عُمان وتعبهم ما لاقى زملاؤه ، حيث كان من أركان الأُمة لأنه أحد علماء الصدر الأول ، وأحد أجنحة الطائر العلمي إلى عُمان)[١] .

والمتأمل في مؤلفات أصحابنا المشارقة والمغاربة ، يجد لهذا العلم الكبير موسى بان أبي جابر الإزكوى الآراء الفقهية الكثيرة ، والمسائل المأثورة ، بل لربما كانت له مؤلفات ، ولكن لم تصل إلينا ، يفهم ذلك من قرأ في كتاب (بيان الشرع) للعلامة الشيخ محمد بن إبراهيم الكندي النزوي .

ولقد عُمِّرَ - رحمه الله - طويلاً ، حيث كان يؤتى به إلى العسكر محمولاً مشدودًا على حاجبيه بعمامة ، وهو نائم على سرير[٢] ، ولكنه مع هذا التقدم في العمر نجد عقله المستنير وفكره الثاقب ورأيه الحصيف ، لم يتأثر من ذلك شيء، بل كان العملاق العظيم .

---

(١) إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ص٤٥ .

(٢) تحفة الأعيان جـ١ ص١١٤ .

توفيَّ سنة إحدى وثمانين ومائة[1] ، قال المؤرخ الشيخ خلفان بن جميل السيابي :

وعام إحدى وثمانين عدد توفى شيخ المسلمين وفقد
ابن أبي جابر موسى وهو في إمامة الوارث أيضًا فاعرف[2]

أي وفاته قبل وفاة الإمام الوارث ، تغمدهما الله برحمته، وأسكنهما فسيح جناته ، جزاء ما قدموا للإسلام والمسلمين.

هذه أيها القارئ الكريم صور مشرقة من حياة هذا الإمام الجليل – شيخ الإسلام – الإزكوي الذي حفظ أمانة الله في شبابه وشيبه ، ورعى مصالح أمته في كل وقت وآن ، حسبما يمليه عليه الحق والعدل ، فله من أمته الدعاء الخالص ، أما جزاء ما قدم من إخلاص وأمانة وجهد وصدق فعلى الله سبحانه ، فعنده الجزاء الأوفى .

وتُرينا سيرة هذا الإمام التي سار بها بين الناس الرقابة الشديدة لألا تنتهك حرمات الله ، واليد القوية التي تضرب

(١) إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ص٤٥ ، وأيضًا إتحاف الأعيان ص١٦٩ .
(٢) سلك الدرر جـ٢ ص٥٦٨ .

بعصى من حديد ، على من أراد أن يشق أمة الإسلام ، أو أن ينال من أرضهم وحرماتهم .

فقد كافح الباطل بجميع صوره وأشكاله ، وعمل على تكوين جيل من الشباب المتفتح ، العارف بحقيقة رسالة القرآن الكريم المدرك لكنه الشريعة الغراء ، فلقد كان عالمًا ومعلمًا ، وقاضيًا ومفتيًا ، ومجاهدًا مستبسلاً ، وداعيًا إلى الله على بصيرة ، ملتزمًا بالسنة المحمدية الطاهرة ، ومتبعًا سيرة الخلفاء الراشدين ، عدلاً بين الناس ، منفذًا لأحكام الله ، آمر بالمعروف ، ناهيًا عن المنكر .

فإلى جانب إنشغاله بما ذكرناه نجده مخصصًا بعض الوقت لطلبة العلم فأخذ عنه العلم عدد كبير .

هذا هو موسى بن أبي جابر الأزكوي العُماني ، الذي قضى من العمر أربعًا وتسعين سنة وستة أشهر قضاها في العلم والمعرفة والجهاد والنضال من أجل إعلاء كلمة الدين عرف عنه قوة الشخصية ، والثبات على المبدأ القويم ، نمت موهبته أعظم نماء ، وتخصص في قراءة السرائر والوجوه يعرف كنه الأعماق المتسترة ، والأبعاد المخبوءة في غير كلفة

ولا تعب ، ويقرأ الوجوه في نظره ، ثبتت في قلبه الشجاعة ونبتت في نفسه شجرة العلم ، لقد بلغ في العلم شأواً منقطع النظير ، وفي الشجاعة مكانة سامقة علت ذروتها في دنيا الناس فوق كل المعايير .

لقد أوتي من فصاحة الرأي وبعد النظر ، ما جعله يدرك أن الخير في هذه الحياة واضح وضوح الشمس رابعة النهار لمن سلك طريق الخير ، وإنما الشر هو الذي يستتر ويتخفى فهو - رحمه الله - ممن إعتنى بدراسة الشر في مخابئه ومظانه ، ليوقيه نفسه وليبعده عن مجتمعه واعتنى بدراسة الخير ليكتسبه ويقرّ به من مجتمعه.

ويتمثل هذا الموقف فيما يدلي به من رأي . وحسن نظر عندما يرجع إليه في الملمات والمهمات . أفاض الله على روحه من شآبيب رحمته وجازاه أعلى جناته .. آمين والحمد لله رب العالمين .



المراجــــع

١ - تاريخ عُمان المقتبس من كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تأليف المؤرخ سرحان بن سعيد الأزكوي - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٢ - الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان .
تأليف المؤرخ حميد بن حمد بن رزيق - طبع وزارة التراث لعام ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٣ - تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان .
للعلامة نور الدين عبد الله بن حميد السيابي - الطبعة الخامسة لعام ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م .

٤ - سلك الدرر الحاوي غرر الأثر الجزء الثاني .
للعلامة الشيخ خلفان بن جميل السيابي - طبعة وزارة التراث لعام ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .

٥ - الإباضية في موكب التاريخ .
للمؤرخ الشيخ علي يحيى معمر - الحلقة الأولى - الطبعة الأولى. ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .

٦ - إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء .
للشيخ المؤرخ سالم بن حمود السيابي - الطبعة الأولى ١٩٧٩م .

٧ - إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان .
للمؤرخ سيف بن حمود البطاشي - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

٨ - مراجع ورسائل ومحاضرات أُخرى .

رقم الايداع ١٢/١٩٩٧م

مطبعة الألوان الحديثة تليفون: ٥٦٢٢٧٦